

تكريم المخرج الهولندي يوهان فان دير كوكن في تونس

أمستردام - المصير - كتب حسونة المنصوري*



المخرج الراحل يوهان فان دير كوكن

الفكري لعمله السينمائي. لقد تمكن بمقتضاه من الجمع بين الرؤية الملتزمة بالقضايا السياسية و

الإنسانية العميقة من جهة، والبحث المتواصل عن الجراة على مستوى الشكل من جهة أخرى. هكذا وفق المبدع الهولندي من تحقيق معادلة تكاد تكون مستحيلة في فن الصورة:

إنتاج صورة بأسلوب منمق مع إعطائك الانطباع في الآن ذاته بأنك أمام واقع خام. ويكاد هذا الحس الفكري والذهني أن يتجلى كما المحظور بالمعنى الصوفي للفنان في أدق مكونات أفلامه. يذكر أيضا، أن فان دير كوكن اشتهر بمواقفه المناصرة للقضية الفلسطينية، وقد عرض له مهرجان الفيلم العربي في روتردام بعض أعماله في إطار برامجه الخاصة خلال السنوات الماضية.

* ناقد سينمائي تونسي مقيم في أمستردام

في إطار الاحتفالات بخمسينية العلاقات الدبلوماسية بين تونس وهولندا، شهدت العاصمة التونسية مؤخراً حدثين هولنديين. الحدث الأول رياضي بما أن الفريق الوطني التونسي التقى نظيره الهولندي يوم الأربعاء ١١ شباط / فبراير، أما الحدث الثاني فهو ثقافي حيث يتم في اليوم الموالي، الخميس ١٢ شباط / فبراير تكريم المخرج الهولندي الكبير يوهان فان دير كوكن. هذا الحدث من تنظيم الجمعية التونسية للنهوض بالنقد السينمائي وسفارة هولندا بتونس بدعم من مؤسسة هولندا للسينما.

دير كوكن الفنية. لقد كان يهتم دائما سواء في الفوتوغرافيا أو في إخراج الأفلام بالواقع من حوله أولا، كما لو أنه كان على يقين بأن القرب من الأشياء ومن الكائنات لا يعني الولوج إلى ماهيتها. لكن عمل فان دير كوكن لم يقتصر على الفضاءات القريبة فحسب. فقد حملته إنتاج فيلمه Groote Vakantie أو العطلة المطولة سنة ١٩٨٨ إلى أركان المعمورة الأربعة، كان ذلك كما لو أنه علم أنه لم تبقى له سوى سنوات معدودة للعيش. في هذا الكفاح المرير والتراجيدي ضد الموت يرقى يوهان فان دير كوكن إلى أسمى درجات الحكمة فوامها الإنصات إلى الوجود والتعمق في مشاهدته. ويمثل هذا الموقف الذهني على بساطته العمود

للشباب يوهان إلى عالم الصورة. لقد كان عمره ١٧ عاما فقط، عندما نشر أول مجموعة من الصور الفوتوغرافية بعنوان (عمرنا سبعة عشر عاما) عام ١٩٥٥. بصمات المصور الفوتوغرافي ستجلى في وقت لاحق في أعماله السينمائية. كثيرا ما حمل الكاميرا أوتولى تركيب لأفلام بنفسه مما أعطى صورته عمقا طبعه الأسلوب الشخصي وجراة الابتكار. تراه في بحث متواصل وعنيد عن الإيقاع من خلال كيفية بناء المشهد وامتداده في الزمن. ويصبح تواتر الصورة في نسق ارتدادي والدقة المدروسة لحركة الكاميرا ترجمة لموهبته وبصمته السينمائية الخاصة. وتحتل العلاقة بين الفيلم والواقع مكانة مركزية في فلسفة يوهان فان

إلى جانب عرض جزء كبير من أعمال المخرج الهولندي، بالإضافة إلى عقد ندوة يوم السبت ١٤ شباط / فبراير بدار الثقافة المغاربية بن خلدون تولى فيها كل من الأستاذة باتريسيا بيسترس من جامعة أمستردام، و الأستاذ الهادي خليل من جامعة سوسة تقديم قراءات في أعمال المخرج الهولندي. لاسيما وأن يوهان فان دير كوكن يعتبر واحدا من أهم صناع السينما متى تعلق الأمر بالفيلم الوثائقي. عندما توفي فان دير كوكن عام ٢٠٠١، كان قد بدأ تصوير آخر أفلامه Tegenwoord Onvoltooid أي الحاضر الذي لم يكتمل، ومن سخرية القدر أن هذا الفيلم لم يكتمل بالفعل. كما لو كان موته المبكر إجابة للقدوم المبكر

